التربية حثا على تذكر احسانه للانتهاء عن كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى
نعمة ربكم اي الذي احسن اليكم بنعمة تسخيرها لكم وما تعرفونه من غيرها
اذا استويتم عليه اي على ما تركبونه وذلك الذكر هو ان يعرف ان الله تعالى
خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن الانسان من تصريف
هذه السفينة الى اي جانب شاء فاذا تذكر ان خلق البحر وخلق الرياح
وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصرف الانسان ولتحريكاته انما
هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على
الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعم الله تعالى التي
لا نهاية لها ولما كان تذكر النعمة يبعث الجنان واللسان والاركان على
الشكر لمن اسداها قال عز من قائل وتقولوا اي بالسنتكم
جمعا بين القلب واللسان سبحان الذي سخر اي بعلمه الكامل وقدرته التامة
لنا هذا اي الذي ركبناه سفينة او دابة وما اي والحال انا ما
كنا له مقرنين اي مطيقين والمقرن المطيق للشي الضابط له
من اقرنه اي اطاقه قال الواحدي كان اشتقاقه من قولك صرت
له قرنا ومعنى قرن فلان اي مثله في الشدة وقيل ضابطين وقال
ابو عبيدة قرن لفلان اي ضابط له والقرن الحبل ومعنى الاية ليس عندنا
من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نطيقها فسبحان
من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته روى الزمخشري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وروى احمد وابو داود والترمذي
وقال حسن صحيح عن علي انه وضع رجله في الركاب وقال بسم الله
فلما استوى على الدابة قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا الاية ثم حمد
ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ثم ضحك فقيل مم تضحك يا امير المومنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل ما فعلت فقلنا ما يضحكك يا رسول الله قال ان ربك يعجب من
عبده اذا قال العبد لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري وروى احمد عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اردفه على دابة فلما
استقر عليها كبر ثلاثا وحمد الله ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله تعالى
واحدة وضحك ثم اقبل عليه فقال ما من امرئ يركب دابة فيصنع كما صنعت
الا اقبل الله عليه يضحك كما ضحكت اليك ولما كان راكب الفلك في
خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك ايضا لان الدابة قد يحصل لها ما يوجب

هلاك

هلاك الراكب وكذا السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب ان يذكر امر الموت
ويقول وانا الى ربنا اي المحسن الينا بالاقدار على هذه التنقلات على هذه
المراكب لا الى غيره لمنقلبون اي لصائرون بالموت وما بعده الى الدار
الاخرة انقلابا لا اياب معه الى هذه الدار فالاية مشبهة بالسير الدنيوي
على السير الاخروي واكد لاجل انكارهم البعث ولما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا
من عباده جزءا كما قال تعالى وجعلوا له من عباده الذين ابدعهم كما ابدع
غيرهم جزءا اي ولدا لحصرهم في الانثى احد قسمي الاولاد وكل ولد
فهو جزء من والده قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني
ومن كان له جزء كان محتاجا فلم يكن الها وذلك لقولهم الملائكة بنات الله
فثبت بذلك طيش عقولهم وسخافة ارائهم وقرا شعبة بضم
الزاي والباقون بسكونها وهما لغتان واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة
الى الزاي ولما كان هذا في غاية الغلط من الكفر قال موكدا لانكارهم
ان يكون كفرا ان الانسان اي هذا النوع الذي هو بعضه لكفور
مبين اي بين الكفر في نفسه ومناد عليها بالكفر وقوله تعالى
ام اتخذ اي اعالج هو نفسه فاخذ هو بعد المعالجة وهو خالق الخلق
كلهم مما يخلق اي يجدد ابداعه في كل وقت بنات استفهام
توبيخ وانكار اي فلم يقدر بعد التكلف والتعب على غير البنات
التي هي ابغض الجزئين اليكم ثم عطف على قوله تعالى اتخذ لكونه
منفيا على ابلغ وجه لكونه في حيز الانكار واصفاكم وهو السيد
الكامل وانتم عبيده اي اخلصكم بالبنين اللازم من قولكم
السابق ثم بين كون البنات ابغض اليهم بقوله تعالى واذا اي
جعلوا ذلك والحال انه اذا بشر اي من اي مبشر كان احدهم اي
احد هولاء البعداء البغضاء بما ضرب اي جعل للرحمن الذي لا نعمة على
شي من الخلق الا وهي منه مثلا اي شبها بنسبة البنات اليه
لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا اخبر احدهم بالبنت تولد
له ظل اي صار وجهه مسودا اي شديد السواد لما يعتريه
من الكآبة وهو كظيم اي ممتلي غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى
هذا ما لا يرضى عاقل اي يمر بفكره فضلا عن ان يتفوه به وقوله
تعالى اومن ينشا اي على ما جرت به عوائدكم في الحلية يجوز
في من وجهان احدهما ان تكون في محل نصب مفعولا بفعل مقدر
اي او يجعلون من ينشا في الحلية والثاني انه مبتدا وخبره
محذوف تقديره اومن ينشا جزءا او ولدا وجعلوا لله جزءا

Copyright © King Saud University